# التجارب الدينية

## من الوجهة النفسية

ملخصه عن وليم برت هـ . ثاوليس

---

ان القول بان الدين هو طريقة سلوك او انه مجموعة اعتقادات او انه نظام عاطفي ليس بالتعريف الصائب فالدين هو مجموعة هذه الاقوال فهو سلوك معين مظهره العبادة وهو مجموعة اعتقادات تتوقف على اتباع سلوك مخصوص . يستحيل ان يكون الانسان متعبدا اذا لم يسلم بوجود كائن او كائنات يتقدم لها بعبادته . ونحن نريد بهذه المقالة التكلم عن التجارب الدينية أو العواطف التي تلازم هذا السلوك . من المرجح ان لكل انسان تجارب دينية ولو في مرحلة من مراحل حياته وكذلك متصوفوا المتدينة هم أكثر الناس تأثرا بهذه التجارب في سلوكهم فان الشعور بالطمأنينة بعد الصلاة او اثر تناول القربان او بعد الحماس الناتج عن الانضمام الى حفلة الذكر كلها أمثلة لهذه التجارب ومنها أيضا الشعور بتجلي الآله . وينحصر هم بعض الحركات الدينية في الازادة من هذه التجارب العاطفية ، مثل ذلك الفروض الروحية التي تقوم بها جماعات من اتباع الاديان الشرقية كحبس انفاسهم وكالصوم او الاصغاء الى الموسيقى او حضور فداس او انارة الشموع او قراءة مقتطفات من الكتابات الدينية بصوت رهيب خافت وعلى ميل

على علم النفس محاولة تفسير هذه الظواهر كما يفسر كل ظاهرة نفسية اخرى مثل ظاهرة الشعور بتجلي الله في حالة تحكم الوعي الراقي Transcedental consciousness ولكن ليس في الامكان التعبير عن الحالات الدينية النفسية بالاصطلاحات النفسية العادية التي تطبق على ماهو غير ديني فعلم النفس الديني يرمي الى تطبيق المظاهر على المبادىء الدينية تلك المظاهر التي لها تأثير ملموس على السلوك الغريزي والعواطف وفي الوقت الحاضر لم يعدهم علم النفس متجها إلى اثبات المدعيات الدينية بل البحث عن أسس المعتقدات وللفرويدية (١) اثر ظاهر في هذا الميدان بالرغم عن وجود معارضين لايستخف بهم لنظرياته

---

(١) مدرسة الاستاذ فرويد Freud البسيكولوجي الشهير

هناك أسباب لعدد عظيم من أفكارنا وتصرفاتنا تنتج عن تفاعلات فكرية لا نعيها ولا يتيسر لنا أن نعيها فصوت حركة عقارب الساعة يسمع دون أن نعيه ولكن في مقدورنا أن نعيه اذا أصغينا اليه بعكس رغبات الاحلام وفلتات اللسان وهي تعبيرات تنبثق منا فجأة دون تفكير واع فهذه امثلة للتفاعلات الفير موعية والتي لا يمكن لنا أن نعيها ومن هذه التفاعلات ما هو غير مرغوب فيه فنحاول طرده لاعن وعي ولكن بلا وعي . كل هذا نرى اثره واضحاً في سلوك الناس وفي عواطفهم دون أن نتمكن من شرحه فاذا ما اشتد هذا التفاعل في شخص تسبب له عنه الجنون . مثلا

كان المسيو راتسبون يهودياً ثم اعتنق الكاثوليكية واصبح مسيحياً حقاً بكثير من الاختلاط بطائفة القس . اراد رجل افرنسي تحويل من دينه وهو في العشرين من عمره فما كان يظهر ادنى اهتمام لحث الافرنسي . قرأ هذا المسيو ذات مرة صلاة ترفع إلى العذراء فشغلت فكرة لعدة أيام . رأى ايضا ذات ليلة في حلمه صليباً اسود اليس عليه جسد المسيح . قضى النصف الاول من ثاني يوم بحالة عادية تماما ولكن تصادف أنه قابل بعد ظهر ذلك اليوم صديقه الافرنسي الذي استمهله وقتاً ليؤدي عبادته بكنيسة قريبة . ولما تركه ، فكر اليهودي في دخول الكنيسة كي يمتع نظره بما تحويه من النفائس وعندما دخل شعر بتأثير عجز فيما بعد عن وصفه ، ملخصه تجلي العذراء له . ولما اتم الافرنسي عبادته عثر على اليهودي منطرحا على الارض يبكي فسر لذلك وسارع باحضار قسيس وهكذا انقلب اليهودي كاثوليكيا وبتفعل شعر بسلام داخلي لاعتقاده بأنه اعتنق الدين الحق . ومع ذلك لم يتمكن من تأويل ما وقع له

هذا مثل للايمان العنيف الطارىء يشرحه علماء النفس بانه تفاعل فكري غير موعي . فهذا اليهودي كان قد بدأ يقتنع بحقيقة الكاثوليكية دون أن يعي ولكنه كان يطرد هذه الفكرة كلما عالجته دون أن يعي أيضاً فحدث نضال عنيف مستور بين تقاليد وسطه وشعوره من جهة بين هذا التفاعل من جهة أخرى ولكن عملية الطرد هذه (Suppression) أصبحت وقتاً ما في حالة ضعف اشهرها غير ملتصيره . أما رؤية الصليب فدليل على نفوذ الايمان الجديد إلى قلبه او بالاصح الى ما هو عقله الغير واعي ( Unconscious mind ) ولم يتأثر به الوعي اليقظ أبداً . وليس امتزاجه بالقسيس فيما بعد غير اندفاع شديد . ومن المشاهد أن انطرف في الكره قد ينقلب انقلاباً

عكسياً وهذا هو الذي حدث بالضبط عندما وعى هذا اليهودي بانه قد وقف على معلومات جديدة وقد تغلغلت فيه دون أن يعرف كيف استأسرته . فهذا قد حدث دون أن يعي ماهو حادث ولا ينفي هذا حدوث التراكم وتثبت الافكار قبل ان يثور ثورته هذه

( وبهذه المناسبة التي ذكرت فيها العذراء يقول الملخص أنه يعتقد ان المجال متسع لسرد حادثة وصلت إلى علمه قد يكون لها صلة بالموضوع مع الاعتراف بانه عاجز عن تكييفها على الصورة الصحيحة. كان فتى في العشرين من عمره أو حول هذا السن يحب فتاة حباً أفلاطونياً فدعاه هذا الحب الى التلذذ من التفكير في العذراء وطهارة العذراء وجمال العذراء وكان يسبح في عالم خيالي يصل فيه كل مرة الى تخيل العذراء في صورة مبهمة ولكنها جذابة فهل كان للعاطفة الجنسية المكدومة تأثير غير موعى عليه ؟ وكان يعيش في وسط مسيحي وكانت التي يحبها مسيحية تكثر من القسم بالعذراء والمسيح فهل لذلك دخل في الموضوع ؟ لا يستبعد الملخص انه كان في الامكان تحويل هذا الشخص الى المسيحية في حالة ضعفه هذه لو انتهز شخص الفرصة وشجعه على ذلك مع ملاحظة ان ذلك الشاب كان ولا يزال يحتقر المسيحية

ولهذه المناسبة أيضا يجدر ذكر رأي لبعض علماء النفس ملخصه ان لشخصية العذراء كما لشخصية المسيح دور عظيم في أغراء الشبان والشابات على الايمان والورع الطاهر )

يقول ثاوليس ان لغريزة الحب تأثير عظيم على أعمال الناس واحد هذه الأعمال هو الذين فالذين تأثروا به أما يندفعوا نحو الخلاص الديني او يندفعوا إلى اكبار شأن الذي يحبون

قال أحد علماء النفس الأمير يكيين ان الايمان ( الديني ) يصل الى ذروته عند ماتتجلى على العذراء صورة نقية تستدعي الايمان بها كما وان الحب يبلغ ذروته اذا كان الايمان الديني في اتقى درجاته وان الذين ليست لهم نظرة طاهرة في الحب هم أكثر الناس تحقيرا للايمان .

ليس الايمان الصحيح الا خيال الحب الدنيوي والقديس ليس الا صورة خيالية

للحبيب (١) فالترنم بحب الله هو لا أكثر من انعكاس للحب الجنسي الشديد الذي يتملك قلب المؤمن . كثير من المتعبدين يحتون إلى اناشيد سليمان (٢) وهي اناشيد غرامية خالصة . كان بلوسيوس Blosius إذا صلى يقول « ياحبيبي ، ياحبيبي ، ياحبيبي ، ياأعز الاصدقاء . أيها الحبيب الاوحد ، ياقرين الروح يازهرة الحب ، قرين روحي انت اشهى لدي من العسل في أكمامه . أيتها اللذة ، لذة القلب ، ياحياة النفس هدى النور في قلبي . مولاي ، الهي ، بامثلك الفداسة ، أيها الآله الاوحد ، ياأصل السعادة غذني ، أجل غذي نفسي ببركتك المتدفقة (٣) » .

ولسوسو Suso (٤) صلاة مماثلة هي « ياحبيبي انت بالحق لي عيد تتجلى فيه سعادتي الحقة انت بركة الصيف لروحي وانت ساعة سروري . انك المحبوب الاوحد الذي لا يفكر في سواه ولا يحب غيره قلبي الصغير . من أجلك لم أهتم بالحب الدنيوي . ساعدني أيتها الروح الرقيقة الطاهرة من يعبدك كي يصل الى الفضيلة وكي يتوغل في طيبتك الكمينة ولا تتركيني أبعد عنك عالق الوقائض في هذا اليوم الذي هو رأس السنة » .

أما رؤى القديسين فهي لا أكثر من أحلام كالتي تمر على كل انسان عادي ولكنهم يأولونها تأويلا دينياً فقد رأت سيدة حلما ملخصه حفلة ولادة فقالت تصفه « رأيت جسما مخيفاً لا شكل له ممددا طلته بحيرة من وحل لين وإذا فيه ينشأ فجأة مخلوق سوي هو طفل جميل أبيض اللون وبسرعة ارتفع الطفل الى السماء » واستنتجت أن الوحل هو المادة (اللحم) الفانية القذرة ولم يكن الطفل في عرفها إلا النفس الطاهرة وقالت لم يكن هناك أي تناسق بين بشاعة الوحل وبين جمال الطفل وكذلك لم تلتصق بالطفل آثار من نجاسة الاصل (٥) .

---

(١) أليس هناك صلة بين هذا القول وبين ما نقرأه من الشعر الآلهي لابن الفارض مثلا الذي اختلف الناس فيما اذا كان غزلا جنسيا او غزلا آلهيا ؟

(٢) راجع التوراة ( كتاب العهد القديم )

(٣) كتاب الصلوات القلبية جمع ا . بولنجر

(٤) راجع تاريخ هنري سوسو المنقول إلى الانكليزية بقلم ف . نوكس Knox

(٥) تجلي الحب الالهي بقلم جوليان أوف نورتش

وتهتم الاديان كثيراً بالورع وتتجه قوات المتصوف النفسية كلها إلى الله ولذلك لا يجد الحب الجنسي المبغوض منهم لديهم منفذاً خصباً ومن الضروري لنفسية المتصوف ملازمة الورع التام . وكل الاديان تحث على الوصول الى المثل الأعلا وعلى الورع ولكنها لا توجب الانقطاع عن ممازجة الغير الامر الذي يعتبر من ضروريات النفس المتصوفه حتى لا يتواجد حائل بينها وبين الاتجاه بفناء إلى الخالق

حدث أن أرسلت والدة القديس اوف جنزاجا Gonzaga البالغة شرف برسالة وهو فى الثانية عشر من عمره (١) فلم يسمح لها بالدخول وسمعها من شق الباب ثم طلب اليها بعد ذلك الرجوع الى أمه كما رأته كان يمتنع من الانفراد بوالدته حتى إبان انقطاع وقد اتفق مع والده على الطاعة التامة والقيام بكل ما يكلف به دون تردد نظير عدم اجبار والده إياه على مقابلة سيدات (٢)

أما تفسير العلم لهذه القصة فهو امتزاج العواطف الجامحة بحالة البلوغ فهذه هى الفترة التى يكثر فيها عدد الزاهدين فالزهد ملازم للبلوغ المشاب بالعاطفة الجامحة كنتيجة لنمو القوة الجنسية وعدم القدرة على تصريفها اما نتيجة للخجل الزائد أو لعدم العثور على فرد له جاذبية قوية ففى هذه الحالة يتجه البالغ الثائر العواطف بكل قوته الى الله وكثيراً ما يكون اتجاهه هذا مؤقتاً أو يقوده الى الايمان المستمر بالدين فالتدين البلوغى (من بلوغ) قد يذهب أثره ولكنه يكون فى الغالب سبباً فى التدين المستمر ومعنى هذا يفيد اصطلاح ( Erotogenesis ) أى أن الدين ليس أكثر من سوء ترجمة للشعور الجنسى

وليس معنى ماسبق أن ليس للدين أسباب أخرى فشعور الجماعة الدينى يجبر المرء على متابعتهم كذلك تنافس النظريات الاخلاقية إذا اشتد تأثير هم. ولا يصح الاستناد على ماسبق للاستنتاج بانه لا أساس للأديان من الصحة فاذا أحبنا الله على الطريقة

---

(١) تاريخ القديس جونزاجا بقلم مستشر وبحث فى الاختبارات الدينية بقلم وليم جيمس

(٢) لبعض العلماء النفسيين رأى مفاده أن بعض هذه الحالات يعود إلى اختلال فى الاعضاء الجنسية أو فى استعدادها ويكون ذلك اما كنتيجة لعدم المقدرة أو الاندفاع نحو الميل الجنسى الذى يعقبه رد فعل عكسى تماماً

التي نحب بها الناس لبعضهم بعضا ناتج عن خطأ تصوري فان ما أحاوله هو فقط استناج الدوافع الى الاذهان

يعتقد فرويد أن من الاسباب التي تنتج عنها الامراض العقلية عدم القدرة على التوازن النفسي ( Libido ) الخلقي وهو « الرغبة الجامحة للوصول الى الشخص المحبوب وانه من السهل مقاومة هذا التوازن بتحويل اتجاهه الى ما هو مفيد . هذه هي طريقة الاختصاع ( sublimation ) فالمشاهد أن العقل المتجه نحو الاصلاح الاجتماعي أو إلى الفنون مثلا لا يتضرر إذا أخفق في الحب

والفكر إذا جنح عن الحقيقة وجد أمامه مجالا واسعا للتخيل الذي يتزايد فيصبح نوعا من الجنون . وإذا انحرف النفس للجري في المجاري الدينية لا يمكن تقييدها بنظريات أو مبادىء فهم منفردة تحاول الوصول الى نتائج ذاتية وقد يكون جريها هذا سببا في خروجها من الحياة العاقلة . فاذن نلخص ما تقدم بأن من الواجب على النفسيين درس تحول الحب الانساني الى تصوف وإلى اتيان لانه من الثابت أن الغلو العاطفي المسمى تصوفا ولعبد البلوغ تأثير كبير على الدين وذلك نتيجة لعاطفة الحب الانساني المحبوسة مع الشيء كثير من الغلو ؟

عمر عنايت


الشفق الباكي

للدكتور أبي شادي

شعر ، ونقد ، وأوساع

يقع هذا الديوان المصري الحافل في ٢٢٦ صفحة جامعة ... القصائد والمقطوعات الشعرية . وهو مطبوع بالشكل ... يزينه ومزدان بطائفة من الصور والدراسات الفنية ، ... بالقاهرة . ومن جميع المكاتب الشهيرة في مصر والعالم العربي ، ومن مكتبة ... الشفق الباكي . ... ثمن النسخة مقررون قرشا صاغا فيما عدا القطر المصري

# الجمال العارى

سألت أفروديت : هل الجمال
فاستراحت من شجوها وتغرت
أى جسم وصمعة فى التفاطيع
فوردت الفتون عباً ولمساً
ضل عن عيننا الوجود فتانا
أيها العاشقون للحسن هبوا
إن سن الشباب يسلى بتة
فكنا على الجمال وأنا
فاغتسلنا من كل غم وهم
ليلة . ليتها بغير صباح
قاسيون .

ثمن فى الوجود . قلت عرى
ثم مالت ، كالاقحوان ، أمامى
ونهد وفتنة فى القوام !
ورويت الصبا بكل حسرام
لنصحو كوعد رب الهام
للذات قبل وقد الخمام
واه ويحيا بالحب والآثام .
سوف نفنى ! بلا هوى ، فى الرغام
نا صبابتنا بأنصى المرام
لم ندع غير ذكرها . كالمنام

( زكى ... )

أطلب من دار العصور للطبع والنشر
ومن جميع المكاتب المعروفة

تاريخ الفكر العربى

فى نشوئه وتطوره بالترجمة والنقل عن الحضارة اليونانية